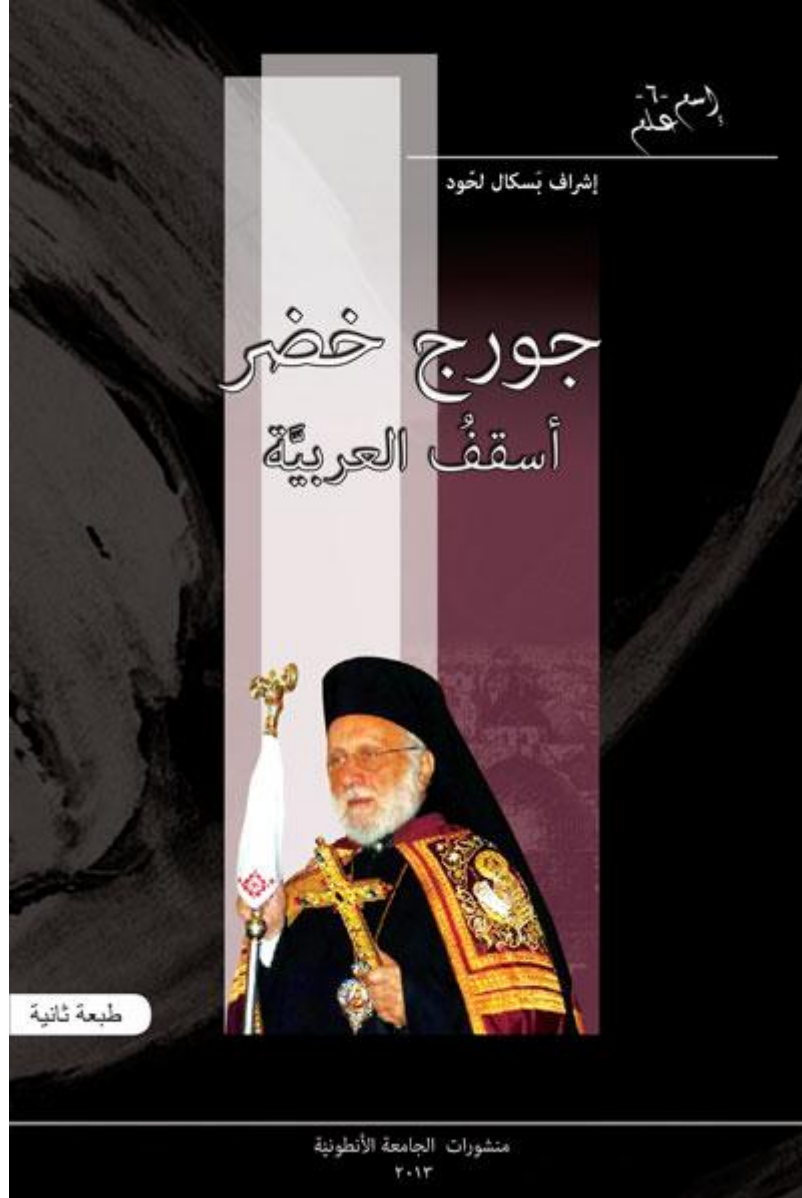


"لاهوتي السياق العربي: جورج خضر"  
ص. 29-54

أنطوان فليفل

أستاذ الفلسفة واللاهوت في جامعة ليل الكاثوليكية، فرنسا.



يندرج لاهوت المطران الأرثوذكسيّ جورج خضر ضمن منحى لاهوتيّ سياقيّ عربيّ، عُرف في لبنان ابتداءً من سبعينيّات القرن الماضي عبر كتابات عدد من اللاهوتيّين، منهم المارونيّان ميشال حايك ويواكيم مبارك، والملكيّان الكاثوليكيّان غريغوار حدّاد وجان كوربون. وقد تطرّق هذا المنحى اللاهوتيّ إلى عدّة إشكاليّات آنيّة تتناول السياق اللبنانيّ والعربيّ بشكل مباشر، أهمّها : الحوار المسيحيّ الإسلاميّ والحوار المسكونيّ، وإشكاليّات الأنطومة اللاهوتيّة وتجديد الكنائس وإصلاحها، ومسألة إرساء أسس خطاب لاهوتيّ سياسيّ في أوضاع المسيحيّين العرب، وعلى رأسها القضية الفلسطينيّة، والعروبة والصهيونيّة، والطائفية والعلمانيّة. قال جورج خضر الكثير في هذه المسائل، علماً أنّ إشكاليّاتها تخصّه بشكل مباشر : فقد ترعرع في "حارة النصارى" في طرابلس وجاور المسلمين لأعوام عديدة، وهو أسقف كنيسة عانت الكثير وجُرحت في صميمها من جرّاء "الاتّحاديّة" (uniatisme)، وقد نشط في الحوارات المسكونيّة المحليّة والعالميّة، وهو ابن وطن عانى وما زال من مشكلات سياسيّة أصابته في العمق وزعزت استقراره.

يتبلور فكر المطران خضر عبر جدليّة تقليديّة وتقدّميّة. فعندما تخاله ينحو مساراً فكريّاً ليبيّرالياً، لا يتأخّر بتذكير قارئه بأهميّة تقليد كنيسته المحوريّ، عبر إسناد تفكّره إلى معطى لاهوتيّ أو كنسيّ تقليديّ. ولكنّ هذه الجدليّة تولي المعطيات اللاهوتيّة التقليديّة مذاقاً جديداً وطعمًا آنيّاً يجعلها حيّة، حديثة وقديمة، بعيدة وقريبة. يتجلّى ذلك مثلاً عبر قراءته اللاهوتيّة للدين الإسلاميّ، وهو يدرجه في حقيقة الله بشكل يقصي قراءات تنظر إلى دين القرآن كدين باطل، وإلى النبيّ محمّد كنبّي دجال. إعادة الاعتبار اللاهوتيّة للإسلام مسألة يمكن اعتبارها تقدّميّة في اللاهوت الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ، وقد بناها جورج خضر على لاهوت يوستنيانوس الشهيد الذي عاش في القرن الثاني الميلاديّ. فيوستنيانوس كان يعلم أنّ بذور الكلمة الإلهيّة ماثورة في ثنايا الوجود بأسره، لا يحدها أيّ شيء. وعليه، بنى جورج خضر نظريته إلى الإسلام على هذا اللاهوت، واعتبر أنّ بذور الكلمة موجودة حتّى في الديانة الإسلاميّة التي تدرج، انطلاقاً من هذا المنطق، في حقيقة الله. ولكن، على الرغم من هذا الانفتاح والموقف اللاهوتيّ المتقدّم من الإسلام، يبقى لاهوت خضر احتوائياً، وهو ثابت في إيمانه بأنّ ملء تجلّي الكلمة

لم يتمّ إلا في شخص المسيح، كلمة الله المتجسّد، وأنّ كلّ حقيقة موجودة في أيّة ديانة هي حقيقة مصدرها الأساسي والوحيد هذه الكلمة. فخر بيغي "إيقاظ المسيح النائم في ليل الأديان"<sup>1</sup>، المسيح الذي يظهر في فكره كمحور كلّ حقيقة وعمل في كنف الخليقة : "كل شيء مصدره المخلص الذي تعبدون : كلّ حقيقة، كلّ طهارة، كلّ عظمة، كلّ مثال. ليس من شيء صالح في هذه الدنيا لم يستحثّه المسيح بشكل ما. ولكنّ السيّد يعمل حيثما يطيب له، وليس بمقدرتك حدّ عمله. هو وعد بملئكم من نعمه، ولكنّه لم يقل إنّه سيجعل منكم مستودعاتها الوحيدة"<sup>2</sup>.

ينعقد هذا المقال على مقومتين أساسيتين من فكر جورج خضر اللاهوتيّ، هما في صلب كتاباته ونشاطاته الكنسيّة والوطنية. أولهما تفكّراته المسكونية، وهي تخضع أيضًا لجدلية التعلّق بالتقليد الأرثوذكسيّ والانفتاح الرحب على الآخر، وبروح الصراحة المزعجة والمحبة الأخوية لشريك الحوار. وثانيهما خطابه اللاهوتيّ السياسيّ الذي عرفتنا به خاصّة مقالاته في جريدة «النهار» على مرّ عدّة عقود، واکب فيها الأزمات العربية، وخاصّة اللبنانية والفلسطينية.

## 1- المعضلة المسكونية

من أجل مبادئ حوار مسكونيّ سليم

مثل جورج خضر كنيسته الأنطاكية الأرثوذكسية في الحوار المسكونيّ المحليّ والعالميّ، وكان التزامه به التزامًا كبيرًا، وقد تعاون بشكل كبير مع صديقه الكبير اللاهوتيّ الملكيّ الكاثوليكيّ جان كوربون. بنى خضر نشاطاته المسكونية على قناعات ومتطلّبات ثابتة اعتبرها منطلق كلّ عمل كنسيّ سليم يروم إعادة الشراكة بين الكنائس. وهو ينادي بوجوب التخلّص من روح اللاهوت الجدليّ (apologétique) والانخراط بالروحية المسكونية، لأنّ "الآخر يكملك، وإنّ لديه انجازات ومواهب قد لا تكون عندك بالمقدار نفسه، وإنّك مدعوّ الى أن تتعلّم

Georges KHODR, « Christianisme dans un monde pluraliste : l'Économie du Saint-Esprit », in *Irenikon*, n° 2, <sup>1</sup> 1971, p. 202.

Georges KHODR, *L'appel de l'Esprit*, Paris, Cerf, 2001, p. 7. <sup>2</sup>

منه ولو كنت أنت على استقامة رأي كاملة<sup>3</sup>. وللروحية المسكونية متطلبات ثلاث في الحقل الروحي، والحقل الفكري، والحوار الصريح والرصين:

أ- المسكونية حركة روحية بحاجة إلى صلاة، لأنها لا تقتصر على مجهود البشر فقط، بل على عمل الله في كنائسه. فالسعي لإعادة الشراكة بين الكنائس يحتم توق المسيحي بكل كيانه إلى البحث عن الوحدة، ويقول خضر بكل وضوح: "أنا مبتغاي ودعائي وبكائي أن أصير واحدًا مع كنسية رومية في كليتها"<sup>4</sup>.

ب- معرفة عقيدة الآخر ضرورة، "إذ نحن في حاجة إلى أن يعرف كل منا معتقد الآخر. الأخوة بيننا ليست فقط حبًا. إنها معرفة. وهي ليست إلا نبالي بالخلاف"<sup>5</sup>. يروم خضر إقصاء كل الخطابات المسكونية التي تتجنب التطرق إلى المسائل الخلافية الأساسية. فالبحث الأكاديمي الرصين هو أحد منطلقات الحوار المسكوني الأساسية.

ت- لذلك يجب على الحوار أن يتّصف بالصراحة المطلقة على صعوبتها. فمن الناقل ادعاء الوحدة المسيحية إن لم يتفق المسيحيون على المسائل الأساسية. فعلى المتحاورين احترام قواعد حوار كنسية من دون القيام بمبادرات فردية تتنافى وآراء كنائسهم، لأن الحوار هو حوار كنائس منفصلة على أساس مشكلات جديدة.

وعليه، يكمل جورج خضر تفكره حول الإشكالية المسكونية، مضيفاً إلى دعوته للتخلي بالروحية المسكونية مبادئ أخرى على أهل الحوار الالتزام بها. فيعتقد أن روحية "الاتحادية" ما زالت موجودة في الكنيسة اللاتينية، وهو يذكر بها في كل مرة يتناول بها مسألة الحوار المسكوني. وهذه الروحية هي عقبة لا مفر منها أمام إعادة الشراكة الكنسية. لذلك يجب "أن تقوم رومية بأمر تغيير ضخم في عالم التعامل مع كنائس الشرق حتى لا تظن هذه أن لطف الحديث المسكوني ليس سوى وجه آخر للتسلط الروماني"<sup>6</sup>. كما يحذر خضر من النزعة الأصولية

<sup>3</sup> جورج خضر، "من القداسة إلى الوحدة"، جريدة النهار، 22 كانون الثاني 2000.

<sup>4</sup> جورج خضر، "قضية المناولة المشتركة"، جريدة النهار، 2 أيار 1998.

<sup>5</sup> جورج خضر، "وحدة المسيحيين إلى أين؟"، جريدة النهار، 24 كانون الأول 2004.

<sup>6</sup> جورج خضر، "حول الوحدة المسيحية"، جريدة النهار، 25 نيسان 1998.

الأرثوذكسيّة، خاصّة تلك التي نشأت على أثر سقوط المعسكر الشيوعيّ، ويعتبرها خطرًا على الحوار. فقد اتّخذ عدد كبير من كنائس هذا النمط موقفًا معاديًا للغرب أصاب الكاثوليك بخيبة. وإضافة إلى ذلك، يشير الأسقف الأرثوذكسيّ إلى أنّ "التوجيه المسكونيّ يبقى شاعرًا في كلّ كنائس هذا المشرق... فالطهارة التي لمستها فيهم لا تكفي. إنّ من مسؤوليّة القيادات طرح الإشكاليّة القائمة وتبيان مواقف الآخرين، لأنّ النور لا يكتمل إلاّ بالمعرفة. المعرفة نوع من الصلاة"<sup>7</sup>. فالصلاة المشتركة، أو توحيد تاريخ عيد الفصح، أو المناولة المشتركة لا تحلّ مشكلة المسكونيّة ولا تختصرها، لأنّ المسكونيّة ليست مسألة عاطفيّة.

وأخيرًا، يضيف خضر أنّه يجب إلقاء الضوء على مكّونات السياق الشرقيّ الاجتماعيّة، والأنثروبولوجيّة، والسياسيّة، والدينيّة في كلّ حوار مسكونيّ، تحت طائلة عدم فهم جوهرية التمايز في فهم سرّ الكنيسة بين الشرق والغرب. فلنشوء البطريركيّات الخمس في القرن الخامس ظروف مختلفة تمامًا. فلا محورية كنسيّة في الشرق كما هو حال بطريركيّة روما، كما أنّ بطريركيّات أنطاكية والإسكندريّة وأورشليم لم تكن خاضعة لبطريركيّة القسطنطينيّة. وفي حين أنّ لهذه البطريركيّة ميراث فلسفيّ وأدبيّ غنيّ، كان ميراث بطريركيّة روما حقوقيًا، وعسكريًا مبنياً على تنظيم هرميّ. وعليه، فمركزيّة روما مبنية على تنظيم الإمبراطوريّة الرومانيّة، في حين أنّ الروحيّة الشرقيّة كانت مبنية على ثقافة لامركزيّة. وتبرز ذروة هذا التمايز السياقيّ في مسألة مكانة أسقف روما وسلطته. فالشرق يقبل بأسقف يجلس على كرسيّ بطرس، ولكنّه لا يرى ذلك صدارة وسيطرة على إخوانه الأساقفة. والمطران خضر يذكر، استنادًا إلى الآباء، بأنّ البطرسيّة موجودة في كلّ أسقف، تجعله خليفة لبطرس. فصدارة بطرس على الرسل لا تعني صدارة خلفه، وهنا تكمن في الكنسية الأرثوذكسيّة مشكلة الصدارة البابويّة.

**العصمة البابويّة، معضلة كأداء؟**

<sup>7</sup> جورج خضر، "الشبيبة المارونيّة المؤمنة"، جريدة النهار، 19 أيار 2007.

يعتبر خضر نفسه متضامناً مع كلّ العالم الأرثوذكسيّ، وعليه، يرى أنّ المسكونيّة على تراجع في زمننا الحاضر. ويشجب عمل الكنيسة الكاثوليكيّة الإرساليّ على الأراضي الأرثوذكسيّة في أوروبا الشرقيّة، وتخالف نظريّته مسكونيّة المجمع الفاتيكانيّ الثاني ومفهوم الكنائس الشقيقة. فإنّ تمّ تخطّي جروح الحملات الصليبيّة واحتلال القسطنطينيّة من قبل اللاتين في القرن الثالث عشر، يرى خضر أنّ العلاقات بين الكنائس الأرثوذكسيّة والكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة في أوروبا الشرقيّة يشوبها توتر كبير، لا بل "غزو كاثوليكيّ". تاريخ الأرثوذكسيين مع "الاتحاديّة" وتداعياتها يدفع خضر إلى اتّخاذ مواقف صارمة، وهو يعتبر أنّ "المسيرة المسكونيّة ليست على ما يريدّها الله لها... [لأنّ] اقتناص الجماعة المسيحيّة للجماعة الاخرى لا يرضي الربّ... إن كان كلّ منا خروفاً في حظيرة السيّد، فهل تجوز عمليّة النتش من الحظائر؟... ليس من زمن بعد الحروب الصليبيّة كان أسوأ من زماننا على صعيد العلاقات بين الكنائس. وهذا يملأ النفس كآبة لا بعدها كآبة وكأنّ الوحدة الوحيدة التي يسوغ الكلام عنها هي وحدة العاصفة التي تعصف بنا أجمعين"<sup>8</sup>.

إنّ مسألة التوسّع الكاثوليكيّ على الأراضي الأرثوذكسيّة مرتبطة، في نظر خضر، بشكل جذريّ، بالمفهوم الكاثوليكيّ لسرّ الكنيسة، وهو مفهوم بلغ ذروته في المجمع الفاتيكانيّ الأوّل. ويذكر الأسقف الأرثوذكسيّ أنّ هذا المفهوم يتناقض والنظرة إلى سرّ الكنيسة في الألفيّة الأولى. فأحد الأسباب التي تدفع الكنيسة الكاثوليكيّة إلى التصرّف بهذه الطريقة على الأراضي الأرثوذكسيّة هو فهمها للسلطان القانونيّ الكونيّ للبابا، وهو سلطان يخولّه بنظرها التصرّف كما يشاء في أيّ مكان. مشكلة الكنائس الأرثوذكسيّة مع هذا المنطق هي في قبول سلطته المباشرة على الأساقفة الآخرين. فالأرثوذكس يعتبرون صدارة أسقف روما كصدارة بطيريكيّة، بمعنى أنّه أوّل بين الإخوة. وأمّا العصمة، فهي غريبة عن الأرثوذكسيّة، وهي غير موجودة في نصوص الآباء الذين لم يفقهوا سرّ الكنيسة كما فعلته الكنيسة الكاثوليكيّة ابتداءً من الألف الثاني: "أجمع مؤرّخو العالم المسيحيّ على أنّ أسقف روما لم يقم بأيّ عمل إداريّ في الشرق القديم، وتالياً لم

<sup>8</sup> جورج خضر، "هل من وحدة مسيحية؟"، جريدة النهار، 30 كانون الثاني 1993.

تعش الكنيسة الشرقية النظام الذي عاشته الكنيسة الغربية لتتمرد عليه في عملية الانشقاق، ويجب أن تعود اليوم إلى بيت الطاعة في تفسير لطبيعة الكنيسة وقوامها ونظامها لم تعرفه يوماً<sup>9</sup>. فعليه، يرفض خضر تعاليم المجمع الفاتيكاني الأول حول عصمة البابا رفضاً قاطعاً، لأنه يتناقض واللاهوت الشرقي. ويظهر من ذلك أنّ المشكلة المسكونية في شكل أساسي مشكلة مفهوم الكنيسة، والنظر إلى سرّها، مشكلة عقائدية جسدها المجمع الفاتيكاني الأول. يجزم المطران خضر ويقول باستحالة أيّة شراكة بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية إن لم توضع عقيدة العصمة البابوية جانباً.

بالرغم من نشاط الكثير من اللاهوتيين الكاثوليك الناشطين في حقل المسكونية، لا يعتقد خضر أنّ لدى الكنيسة الكاثوليكية أيّة نيّة للعودة إلى فهم سرّ الكنيسة كما كان في الألفية الأولى. لا بل يرى في النصوص الفاتيكانية الحديثة تصلّباً في الموقف، وبالأخصّ في نصّ وثيقة "الربّ يسوع"<sup>10</sup> التي تعلّم "أنّ كنيسة المسيح قائمة كلّها في الكنيسة الكاثوليكية وحدها. أيّ إكرام أو أيّ تعظيم للكنائس الأخرى كما ورد في النصّ لا يلغي هذا التأكيد الأساسي الذي يستنتج منه القارئ أنّ كنيسة المسيح – بحسب الفكر البابوي – ليست قائمة في الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً"<sup>11</sup>.

صراحة المطران خضر، وقساوة تقيمه لأوضاع المسكونية، وتمسّكه غير القابل لأيّ تنازل بتقليده الأرثوذكسي هي عوامل لا تمنعه من الالتزام الكبير بالحوار، ومن الاعتقاد بأنّ الوحدة ممكنة، شرط احترام بعض الشروط، ومن أهمّها:

أ- العودة إلى النظرة التي كانت سائدة حول سرّ الكنيسة في الألفية الأولى:  
"نحن مع مفهوم كنيسة جامعة مؤلّفة من كنائس هي واحدة في الإيمان والأسرار الإلهية على شيء من التنسيق بينها"<sup>12</sup>.

<sup>9</sup> جورج خضر، "الوحدة المسيحية: هل من رجاء؟"، جريدة النهار، 4 شباط 1999.

<sup>10</sup> CONGRÉGATION POUR LA DOCTRINE DE LA FOI, *Dominus Jesus*, Cité du Vatican, 2000.

<sup>11</sup> جورج خضر، "وحدة الكنائس"، جريدة النهار، 25 كانون الثاني 2003.

<sup>12</sup> جورج خضر، "قضية الوحدة المسيحية"، جريدة النهار، 17 كانون الثاني 1998.

ب- التمييز بين المجامع المسكونية والمجامع العامة. فالمجامع العامة هي مجامع الألفية الثانية التي لم يشارك فيها الأرثوذكس، وهم بالتالي غير ملزمين بمقرراتها. يمكن، استناداً إلى هذا المبدأ حلّ مشكلة المجمع الفاتيكاني الأول ونظرته إلى سرّ الكنيسة، بحيث إنّه لن يُلزم إلاّ الكاثوليك.

ت- في الوحدة الكنسية المبتغاة، لا مكان "لمجمع الكنائس الشرقية"، وربّما لأشكال أخرى من التنظيم الهرميّ الكاثوليكيّ الحاليّ. أمّا من الناحية الأرثوذكسية، فعلى قلة التنظيم وعدم التوازن بين الكراسي الأسقفية أن يختلف. ولكن، في حين أنّ على الكاثوليك أن يقبلوا بواقع كنسيّ يتخطّى الاستقلالية الليتورجية أو السينودسية، على الأرثوذكس أن يفكروا جدّياً بفكرة محورٍ للكنيسة، يكون أكثر من رمزيّ.

### مشكلة "الاتحادية" في الشرق

تكوّن الروحية "الاتحادية" عقبة كبيرة في الشرق أمام إعادة الشراكة بين الكنائس المنفصلة. ويعتبر جورج خضر أنّه لن يكون للإشكالية المسكونية العالمية نتائج جدية وفعليّة في الشرق إن لم تُحلّ مشكلة الاتحادية. فظهور الكنائس الاتحادية خطأ تاريخيّ لم يولد أيّ نموذج وحدة صالح، بالأخصّ أنّ "الاتحادية" هي دليل هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على كنائس الشرق التي تضحى تابعة لها من دون أن يكون بوسعها القيام بمناورات كنسية أو مسكونية تُذكر. "فالاتحادية" أضرتّ بالعلاقات التي كانت قائمة بين المسيحيين المشرقيين قديماً، وأكّدت على الانفصال. ويذكر خضر في هذا الصدد أنّه "منذ أربعة قرون في بعض من قرى جبل لبنان كنّا نستعمل معابد واحدة، ونقيم بالتناوب العبادات الطقوسية المختلفة. وفي هذا كنّا متفوقين على البشرية أربعة قرون. الموارد الذي كانوا يسلكون على أنّنا إخوة لنا القربان الواحد، ولو علّمهم اليسوعيون في مدارسهم عكس ذلك حتّى طغى العقل، بعدما تفرنج، على القلب"<sup>13</sup>. باختصار، إنّ "الاتحادية" هي إضاعة للهوية، جرح في جسد الأرثوذكسية وحاجز كبير أمام إعادة الشراكة.

<sup>13</sup> جورج خضر، "الوحدة المسيحية المبتغاة"، جريدة النهار، 15 كانون الثاني 1999.

"الاتحادية" وعقيدة العصمة البابوية في المجمع الفاتيكاني الأول هما المشكلتان المسكونيتان اللتان يطرحهما خضر بكل وضوح وصراحة، معلناً استحالة إعادة الشراكة بين الكاثوليك والأرثوذكس من دون حلّهما. وهو يرفض كلّ حوار مسكوني لا يتطرق إليهما بشكل مباشر. كما يعارض المناولة المشتركة في ظلّ غياب الاتفاق العقائدي، لأنّه يعتبر أنّ المجمع الفاتيكاني الأول يحرم الأرثوذكس عبر إعلانه حرم كلّ من لا يقبل سلطة البابا الكونية وعصمته.

### أيّ آفاق للمسكونية؟

إنّ رصانة جورج خضر بتعاطيه الحوار المسكوني ملفتة. فهو يضع جانباً كلّ عامل عاطفيّ، وهو أمر شائع في الشرق، ويرنو إلى حوار جدّي بين أفرقاء الحوار، مع الغوص في المشكلات الأساسية رافضاً الالتفاف حولها، أو حتّى التكلّم بشكل ما عن الوحدة قبل حلّها. يمكن اعتبار هذا الوجه من الحوار وجهاً واقعياً، لا يبني تفكيره على الوحدة المرتجاة، بل على الواقع الآنيّ بكلّ تعقيداته. يكمن فهم موقف خضر من مشروع صديقه جان كوربون، "كنيسة العرب"<sup>14</sup>، انطلاقاً من هذه النزعة المسكونية الواقعية. فالأسقف الأرثوذكسيّ حياً في أكثر من مناسبة هذا المفهوم المسكوني وتكلّم عليه بمودّة، ولكنّ تحفّظه لم يخفى في كتاباته. فقبل الاسترسال في الأفكار اللاهوتية الجميلة والبناءة، يفضّل خضر حلّ المشكلتين اللتين ذكرناهما، لاستحالة التقدّم في سبيل الوحدة من دون حلّهما. ولذلك، فإنّ كل كتاباته المسكونية تظهر همّه في توضيح طبيعة المشكلات المسكونية وإفهامها، ليس فقط لقرّائه المؤمنين، بل أيضاً لللاهوتيين والإكليروس، لأجل تجنّب الوصول إلى حلول غير مناسبة.

يمكن عدم مساومة خضر على نظرتّه إلى سرّ الكنيسة وبنيتها ورفضه مقرّرات المجمع الفاتيكاني الأول، قد تدفعنا هذه الأمور إلى الاعتقاد باستحالة إعادة الشراكة. ولكن، بالرغم من ذلك، فإنّ الواقعية المسكونية والروحانية النقدية في لاهوت خضر لا يعنيان رفض الآخر أو الانغلاق تجاهه. فعلى الحوار أن يباشر رغم كلّ الصعوبات، لأنّ وحدة المسيحيين ليست مستحيلة، والتزام خضر

<sup>14</sup> جان كوربون، كنيسة المشرق العربي، بيروت، مجلس كنائس الشرق الأوسط، 2003.

بالحوار دليل قاطع على ذلك. كما يجب عدم اعتبار تفكّرات خضر المسكونيّة أنظومة مغلقة، وهو قد ذكر مرارًا وبإيجابيّة كبيرة تطلعات مسكونيّة كاثوليكيّة، من أهمّها مشروع يواكيم مبارك إعادة ترميم بطريكيّة أنطاكيا، ومشروع جان كوربون الذي ذكرناه، "كنيسة العرب".

## 2- اللاهوت السياسي الملتزم التربة العربية

### العروبة

للعروبة مكانة مميزة في فكر المطران جورج خضر، ومن السهل الوقوع على تعبير "عروبة" عند قراءة المواضيع المختلفة والمتنوّعة التي يعالجها في مقالاته. وفكره حسّاس جدًا للتعدديّة التي تفترضها العروبة كما يفهمها. وهو يذكر نوعين من العروبة: العروبة الثقافيّة التي ينادي بها، والعروبة السياسيّة التي هي عقيدة إيديولوجيّة عُرفت بالأخصّ من خلال التيار الناصريّ، وهو على مسافة كبيرة منها. يميّز خضر في كتاباته الفرنسيّة<sup>15</sup> بين المفهومين عبر استعمال تعبير "arabité" للتكلّم عن الأوّل، وتعبير "arabisme" للتكلّم عن الثاني. وقد استعمل أحيانًا تعبير "عُربّة" للتكلّم عن الـ"arabité" ولكنه لم يعمّم ذلك على كتاباته، ربّما لعدم تعوّد الأذن العربيّة عليه.

العروبة هي، بعيدًا عن أيّ فكر سياسيّ أو إيديولوجيّ، "مساحة ثقافيّة وجغرافيّة، حركة تجديد تدعو، انطلاقًا من التعدديّة، كلّ البشر القاطنين في هذا السياق، أكانوا عربًا أم لا"<sup>16</sup>. أمّا المكوّنات الثقافيّة الفرعيّة التي تؤلّف الثقافة العربيّة التعدديّة، فهي الثقافات الأرمنيّة، والكرديّة، واليهوديّة، والمسيحيّة، والإسلاميّة، وثقافة المفكرين الأحرار. فالعروبة هي إذن توليف لعدّة حقبات، وثقافات، وتقاليد، وأعراق، وأديان. وعليه، فالثقافة العربيّة الواحدة تحوي الثقافات الفرعيّة وموروثات كلّ الثقافات الشرقيّة القديمة.

<sup>15</sup> مثلًا: Georges KHODR, « L'arabité », in *Palestine et arabité*, Pentalogie islamo-chrétienne, Tome V, Beyrouth, éditions du Cénacle Libanais, 1972-1973.

<sup>16</sup> المرجع نفسه، ص. 186.

لا يتوانى خضر عن ذكر المناقشة التي دارت في لبنان حول عروبة مسيحييه، أو فينيقيّتهم، أو لبنانيّتهم. ويعزوها إلى الخوف الناتج عن خلط بين العروبة والإسلام، وهو خلط غير واقعيّ لأنّ المسيحيّين قاموا بدور كبير في تكوين العروبة الثقافيّة، بالأخصّ أنّ المسيحيّة المشرقيّة أضحت، بفعل انغراسها في التربة العربيّة، مسيحيّة عربيّة. واليهود كانوا قد أدّوا دورًا مماثلاً في الجزيرة العربيّة. لذلك، لا يختصر الإسلام العروبة، ولا يحدّد القرآن اللغة العربيّة، لأنّها أضحت أيضًا لغة مسيحيّة، بالأخصّ في المجالات اللاهوتيّة والليتورجيّة والعلميّة والفلسفيّة. أضف إلى ذلك علاقة المسيحيّين بالشعر العربيّ قبل ظهور الإسلام.

ولكن، بالرغم من تعدّديّة الثقافة العربيّة هذه، يبقى الإسلام محورًا لها. فعلى الصعيد الدينيّ، تحمل العروبة بعدًا كونيًا بلوره الإسلام الصاعد، مع إدخاله عناصر يهوديّة ومسيحيّة. ومع ذلك، فأهميّة العنصر المسيحيّ كبيرة جدًا لأنّها تغني العروبة أشدّ إغناء، وذلك لا يعود فقط إلى مرحلة ظهور الإسلام، بل أيضًا إلى عصرنا الحديث، وبالأخصّ إلى النهضة العربيّة، حيث أخرج المسيحيّون العروبة من الحقل الدينيّ البحت، وأدخلوه في حقل السياسة والثقافة، وميّزوا بذلك بوضوح ونهائيًا بين الإسلام والعروبة. يعي جورج خضر واقع نسيان معظم المسيحيّين العرب لهذا الواقع التاريخيّ، ويذكّرهم به مبشّرًا بما يمكن للعروبة أن تقدّمه للمسيحيّين المشرقيّين اليوم. وهي ليست مسكنًا ثالثًا يضاف إلى مسكني المسيحيّة والإسلام، بل هي المسكن الوحيد. العروبة هي المسكن الوحيد حين يتمكّن المسلمون والمسيحيّون من عيش لقائهم الوجوديّ والتاريخيّ. وحتى لو عاش كلّ فريق منهما العروبة وفق شخصيّة الروحيّة، فإنّ السياق يخلق بينهم وحدة حياة، لكونهم يواجهون المصاعب والتحدّيات نفسها<sup>17</sup>. فالويلات التي تصيب الإنسان العربيّ لا تميّز بين مسيحيّ ومسلم. وعليه، يجب على المسيحيّين العرب أن لا يتفوقوا في ماضٍ عبر، وأن لا يعتبروا انتماءهم الثقافيّ انتماءً إلى المسيحيّة الغربيّة. بل يجب أن يلتزموا سياقهم بشكل كامل وأن يؤدّوا أفضل شهادة ممكنة، بالأخصّ أنّه بإمكان العروبة أن تكون لهم بذور مسكونيّة تقرّبهم بعضهم إلى بعض بالرغم من انقساماتهم العقائديّة والكنسيّة. يتكلم خضر بشكل

<sup>17</sup> راجع: جورج خضر، "العرب"، جريدة النهار، 30 آذار 2002.

واضح عن الرابط الممكن بين العروبة، والمسكونية، والشهادة قائلاً: "رعيّتك ليست هذه المجموعة الصغيرة الغنجة التي يقرع جرسها صبيحة الأحد. ولكن رعيّتك هي العالم العربيّ كلّهُ. والرعايا الطيبة التي ترعاها أنت ورفاقك في الإنجيل هي التي يجب أن تفهم أنّها إن أرادت أن تتبع المعلّم، فلا بدّ لها أن تنكر نفسها وتحمل صليبها وتتبعه إلى حيث مشى، أي إلى الصليب. وهي لن تنال قيامتها الكبرى إلا إذا اشتهت أن تنالها مع العرب جميعاً بالصورة التي يكشفها الله للعاشقين"<sup>18</sup>.

العروبة تحدّ للمسيحيين المشرقيين، تواجهها عدّة أفكار سائدة يمكن اعتبارها نقيضة لها، كـ بعض القوميات الغابرة، أكانت سريانية، أم كلدانية، أم آشورية، أم مارونية. فأبّي "تجديد مسيحيّ على أرض المشرق غير ممكن، إن كان مرتبطاً بشكل من أشكال القوميات الطائفية، وهي في طبيعة الحال مناهضة للعروبة"<sup>19</sup>. هذه التجربة موجودة أيضاً في الإسلام، وهي نقيضة العروبة، ومؤيدة "للأطروحة الصهيونية التي تعتقد باستحالة التناغم السياسيّ في الشرق الأوسط بين الجماعات الدينية، وهو واقع ينطوي، بالنسبة للدولة العبرية، على خلق دول كردية، وسنية، ومارونية، ودرزية، وعلوية، وما أدري؟"<sup>20</sup>.

وأخيراً، تظهر العروبة حديثة، وعقلانية، ونقدية، وتعددية، ومصدر تجدد للإنسان العربيّ الذي يزرح تحت وطء جمّ من التغرّبات، ومنها إشكالية الخلط بين الدين والسياسة. والعروبة تدين هذا الخلط وترفض كلّ شكل من أشكال الحكم الدينيّ أو الايديولوجيا القومية. وهذا ما يجعلها تياراً علمانياً، لا يقصي الموروثات الروحية، بل يجعل لها مكانة مناسبة في إطار الثقافة العربية. وإنّ "قبول المسيحيين العرب اللامشروط لهذه العروبة سيخولهم الكلام عن العلمانية. فمن الواضح أنّ حرية الروح المطلقة غير ممكنة إلا في زوال كلّ أثر للحكم الديني"<sup>21</sup>. وعليه، يمكن اعتبار هذه العروبة عروبة إنسانية، لأنها تتخطى كلّ الإعتبارات الدينية من دون إقصائها، وتلاقي الإنسان العربيّ وسط معاناته، وهو

<sup>18</sup> جورج خضر، "الكراسة المسيحية للإنسان العربي المعاصر"، مجموعة مؤلفين، في سبيل لاهوت مسيحيّ عربيّ معاصر، منشورات الإكليريكية البطريركية المارونية، غزير، لبنان، 2002، ص 170-180.

<sup>19</sup> Georges KHODR, « L'arabité », *op. cit.*, p. 193.

<sup>20</sup> المرجع نفسه، ص. 194.

<sup>21</sup> المرجع نفسه، ص. 195.

هدف العروبة الأسمى. فباسم هذه العروبة، التزم خضر التزامًا مطلقًا بالقضية الفلسطينية، وقد ذكّر انتماءه إلى العروبة بوصفه مسيحيًا عربيًّا، ابن التربة العربية، وأعلن: "يوم الخامس من حزيران 1967، اخترت العروبة، لأنني رأيت في هذا اليوم أن يسوع الناصري أصبح لاجئًا فلسطينيًا"<sup>22</sup>. تبدو العروبة، والعلمانية، والقضية الفلسطينية، ثلاث مسائل مترابطة بشكل جذري في لاهوت خضر السياسي.

### العلمانية والطائفية

تناول المطران خضر مسألة العلمانية في أكثر من مناسبة ولأكثر من سبب. فهي أولاً مكوّن أساسي للعروبة، مع كونها حلاً مرجحاً للقضية الفلسطينية<sup>23</sup>.

إنّ علاقة المسيحية والسياسة مبنية، في نظر جورج خضر، على قواعد إيمانية واضحة، قوامها قول المسيح إنّ مملكته ليست من هذا العالم (يو 18، 36). يذكّر خضر بأنّ لا خلط بين حقلي السياسة والدين في المسيحية، لأنّ الدين يهتمّ بحياة الإيمان، لا بشكل الحكم السياسي. فالسياسة "نطاق له قواعده وتقائمه ولغته وأسلوبه، وإنّ ملكوت الله له قواعده ولغته وأسلوبه"<sup>24</sup>. لذلك، لا مكان للإكليروس في الحكم السياسي. فالخلط بين الدينيات والسياسيات على صعيد الحكم مصدر مشكلات يجب تجنّبها، ما يحتمّ "تحرير للوطن من وطأة الطوائف وتحرّر للإيمان من دخول السياسة إليه"<sup>25</sup>.

على التمييز بين الدينيات والسياسيات أن يترافق مع مبدأ إمكانية عيش المسيحي في ظلّ أيّ نظام سياسي، شرط أن لا يكون هذا النظام سيئاً أو مجرماً، وأن لا ينتاقض والحريّات. فيمكن للمسيحية القبول بأشكال مختلفة من الحكم، حيث لا يحتوي الإيمان المسيحي على شكل معيّن من الحكم الزمني. ولكن يبدو أنّ التمييز بين الدينيات والسياسية هو مصدر عدّة مشكلات في لبنان، يذكر منها خضر

<sup>22</sup> المرجع نفسه، ص. 199.

<sup>23</sup> "أيقن الفلسطينيون في النار والدم أن الأخوة تستدعي العلمانية كهيكلية للدولة الفلسطينية القادمة" (المرجع نفسه، ص. 195).

<sup>24</sup> جورج خضر، "الحكم المدني"، جريدة النهار، 23 كانون الثاني 2010.

<sup>25</sup> المرجع نفسه.

اثنتين. الأولى مشكلة الهوية: فاللبنانيون يعيشون نوعين من الانتماء السياسي، الانتماء المنبثق من هويتهم السياسية، والانتماء المنبثق من هويتهم الوطنية. وذلك يتعارض ومبدأ الهوية السياسية التي لا تحتل الازدواجية، لأنّ "المواطن ذو هوية وطنية، أي يعتبر أنّه عضو في مجتمع وطني واحد ليس مؤلفاً من أجزاء دينية"<sup>26</sup>. والثانية مشكلة الطائفية، وهي مصدر توترات كثيرة، لخضر موفقين أساسيين منها:

أ- يدين خضر كلّ شكل من أشكال الطائفية، لأنّ "كلّ الطائفيات جريمة وكلّ الطائفيات فتن وحروب أهلية"<sup>27</sup>. ولكنّ الطائفية لا تعني أنّ النظام الطائفي سيء. فاستثمار هذا النظام وسوء استعماله يؤديان إلى مشكلات الطائفية في لبنان: " ليس الانتساب الدينيّ جريمة، ولكنّه لباس تتّخذه الجريمة الكامنة في النفس... المشكلة قائمة في الدين كما نتقبّله او في المذهب كما نفسره، أي إنّها متّصلة بعمق دينك او سطحته فيك"<sup>28</sup>. ويذكر المتروبوليت في هذا السياق حروب الآخرين على أرض لبنان واستثمارهم للواقع الطائفي.

ب- لذلك، فإنّ حلّ مشكلة الطائفية في لبنان لا يكمن في إلغاء النظام الطائفي، بل في إيجاد حلّ لتصرّفات السياسيين الذين يستثمرون الدين. وعليه، يعتقد خضر أنّ "الموضوع عندنا موضوع تطهير الدولة، لا حصر الدين في النطاق الشخصي البحت على الطريقة الفرنسية"<sup>29</sup>. فالإلغاء النظام الطائفي لن يحلّ مشكلة لبنان إن لم تتغيّر تصرّفات السياسيين، ولا شيء يضمن أنّ تغييرها أو وصول أشخاص أكفأ إلى مراكز المسؤولية في حال هذا الإلغاء. أمّا انتخاب النواب على أساس وطني ولاطائفي، فهو أيضاً لن يُقصي الفتنة. بالتالي، فإنّ النظام الطائفي له، على الأقلّ، إيجابية واحدة، هي كونه ضماناً للمسيحيين، لأنّه يضع جانبا مساوء الأكثرية العددية. ولذلك، فكلّ تغيير في شكل النظام أو في إنشاء قوانين علمانية جديدة، عليه أن يأخذ بعين الاعتبار المسيحيين وإرادتهم المشاركة في حكم الأمة.

26 المرجع نفسه.

27 جورج خضر، "الطائفية والانتماء"، جريدة النهار، 5 كانون الأول 1992.

28 المرجع نفسه.

29 جورج خضر، "رأي في الطائفية"، جريدة النهار، 7 شباط 2004.

يتناول خضر مسألة العلمانية في لبنان انطلاقاً من الإشكالية الطائفية، وهو يحدّد مفاهيمه معلناً أنّ "العلمنة كلمة صعبة القبول في أوساط كثيرة لكونها أفهومة محسوبة مرادفة للإلحاد أو نافية للشرع الإسلامي"<sup>30</sup>. وأمّا النموذج الفرنسيّ الذي يُعتبر إجمالاً مرجعاً للعلمانية، فهو غريب جدّاً عن السياق اللبنانيّ، لأنّ العلمانية الفرنسيّة تبلورت انطلاقاً من إشكالية خاصّة بالسياق الفرنسيّ وغريبة عن الشرق. ومن الناقل تطبيقها على السياق اللبنانيّ، بالأخص لأنّ الشرق لا يحتمل إبعاد الدين عن الشأن العامّ. وإضافة إلى ذلك، يحيط بالعلمانية غموض لغويّ يسببه اللسان العربيّ. فالمصطلحان الأجنبيّان "laïcité" و"sécularisme" يُعرّبان بالـ"علمانية"، بالرغم من اختلاف معناهما الكبير. وفي حين لا يبدي خضر أيّ تحفّظ على الأوّل، فهو يرفض الثاني، لأنّ مصطلح "laïcité" هو مرادف، في نظره، للحكم المدنيّ. أمّا مصطلح "sécularisme" أو في بعض الأحيان "laïcisme"، فهو يعني فلسفة تقصي الله عن كلّ ما يتعلّق بالسياسة والحياة الفكرية، وهذا أمر يرفضه حتّى الدستور اللبنانيّ الذي يؤدّي واجب الجلالة إلى الله. يناهض خضر هذا النوع من العلمانية الملحدة وكلّ تيار فكريّ أو سياسيّ يقصي الروحيّ عن الاجتماعيّ ويتصرّف كأنّ الدين غير موجود.

إنّ كل هذه الإعتبارات تخولنا فهم وجهة نظر خضر حول موضوع العلمانية. فالمتروبوليت الأرثوذكسيّ يقبل بعلمانية مرادفة للدولة المدنية، ويرفض كلّ علمانية ملحدة أو مناهضة للدين. فالدولة المدنية تحافظ على التعددية الروحية وتضمن لها دوراً في ظلّ الوطن، في حين أنّ العلمانية الملحدة تضع جانبا كل مشاركة للأديان في الحياة الوطنية، وهذا أمر مرفوض، لا بل مستحيل في السياق اللبنانيّ. يؤيّد المطران خضر تفكّره بالاستناد إلى مثل الإمبراطورية البيزنطية، وهي علمانية بنظره (بمعنى الحكم المدنيّ). فالحكم فيها لم يكن حكماً دينياً، بل كان يُنفذ في ظلّ تناغم بين الدين والدولة. فلا الإمبراطور كان يحكم الكنيسة، ولا الكنيسة كانت تحكم الإمبراطورية. يعطي خضر مثلاً آخر من التاريخ السياسيّ الإسلاميّ ويقول: "تعلمت من المؤرّخين المسلمين المعاصرين أنّ الفقهاء كانوا

<sup>30</sup> جورج خضر، "الغاء الطائفية السياسية"، جريدة النهار، 4 نيسان 1998.

بعامة على مسافة من السياسة وأنهم كانوا وجدان الخلفاء، ذلك أن من جعل فسحة بينه وبين الالتزام الزمني يستطيع أن يكون روح هذا الالتزام ورقيبه<sup>31</sup>. وعليه، فالحكم المدني الذي يستند إلى قوانين وضعيّة هو أحد الحلول التي يمكن تبنيها لحلّ مشكلات لبنان التي تسببها الطائفية. ولكنّ ذلك يبقى تدبيراً خارجياً، ضروريّ بلا شكّ، ولكن غير كافٍ: "فالعلمانيّة حلٌّ إداريّ لمشاكل الدولة، وليست حلاً فلسفيّاً. تجاهلّ الموجود الفاعل في النفوس لا يُقيم مجتمعاً واحداً"<sup>32</sup>.

يحافظ رفض العلمانيّة الملحدة، "sécularisme" أو "laïcisme"، على مكانة الحقل الروحيّ في المجتمع السياسيّ. وعلى هذا الحقل أن يبقى مصدر وحي، مع الإبقاء على التمييز الواضح بين الدينيات والسياسيات. فعليه، تتمكّن الدولة من أن "تستوحي المصادر الدينيّة استيحاءً لقانون وضعيّ، وقد يأتي القانون الوضعيّ حرّاً من أيّ استيحاء دينيّ، ولكن يصدم ضمير الناس وإخلاصهم الروحيّ"<sup>33</sup>. فالحكم المدنيّ لا يتجاهل معتقدات الناس الدينيّة ولا يتعارض معها. ويرى خضر أنّه يجب طرح مسألة الزواج المدنيّ في لبنان انطلاقاً من هذه الأسس، ويعتقد أنّه من المناسب إيجاد حلّ منصف للذين لا يريدون الالتزام بإطار دينيّ لزواجهم، مع المحافظة على قوانين الأحوال الشخصية في ظلّ دولة علمانيّة. وبذلك، تكون هذه الدولة قد احترمت مبدأ العلمانيّة والتمييز الواضح بين الدينيات والسياسيات، مع أخذها بعين الاعتبار المعطى الاجتماعيّ للسياق اللبنانيّ.

ختاماً، على المسيحيّ أن يساهم في إحداث هذه الدولة المدنيّة، فهي ضامنة للتعدديّة، وللتمييز بين الحقلين الدينيّ والسياسيّ، وللتوازن الطائفيّ في لبنان. ومن واجب المسيحيين أن يكونوا مصدر وحي في الحياة السياسيّة، لكي تتدرج في إطار خير الإنسان الزمنيّ الأسمى: "لا بدّ من الشهادة لله في أمور دنياك بحيث تلتزم شؤونها فتغمس في صفحاتها وتناضل وتغيّر فيها ما قدرت بلا عنف، سيّداً عليها ولو زاهداً بها، مستقلاً عنها ولو خادمها، متفحصاً قوانينها، عاملاً ضمن نواميسها وفوق نواميسها في آن، فتعجن كلّ ما في الأرض، يداك فيها

<sup>31</sup> جورج خضر، "الكنسية والسياسة"، جريدة النهار، 15 آب 1992.

<sup>32</sup> جورج خضر، "التوبة الوطنيّة في لبنان. أين نحن منها؟"، اللقاء اللبناني، تعنيل، السبت 31 تشرين الأول 1998.

<sup>33</sup> جورج خضر، "الحكم المدني"، جريدة النهار، 23 كانون الثاني 2010.

ورأسك في السماء، فتشدد الدنيا الأولى إلى الآخرة، بحيث إذا كانت الآخرة حالة في قلبك وقلب الإخوة تصير الأولى كما الآخرة، أو صورة عنها، أو مشدودة إليها... أنت تحمل الإنجيل في قلبك وتترجمه في الإنسانيات، في الهيكلية<sup>34</sup>.

### القضية الفلسطينية

لا يمكن التكلم عن العروبة من دون ذكر القضية الفلسطينية، فهي محورية، وفي وسط نضال كل العرب. وأمّا الصهيونية، فهي في نظر خضر، المثال الأساسي للفكر المنغلق والعنصري، والنقيض للعروبة بانفتاحها وتعدديتها. التزم خضر القضية الفلسطينية ودافع عنها، بالأخصّ عبر كتابة عشرات المقالات التي تدين الصهيونية وتدعو إلى بناء دولة فلسطينية حرّة، ديموقراطية وعلمانية<sup>35</sup>. وهو يعتقد أنه لا يمكن أن يكون موقف اللبناني حياديًا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، خاصّة أنّ رسالة الإيمان تدعو المؤمن إلى الوقوف إلى جانب المظلوم والتنديد بالظلم الحاصل. ثلاثة أسباب تدفع جورج خضر إلى الالتزام بالقضية الفلسطينية:

أ- القضية الفلسطينية، قبل أن تكون قضية سياسية، هي قضية أخلاقية. فلا يمكن للمسيحي الصمت تجاه ما يحصل من أعمال لاعادلة ووحشية في فلسطين. لا شك أنّ الشعب الفلسطيني ليس الشعب الوحيد المظلوم في العالم، ولكنّ القرب الجغرافي والهوية الثقافية العربية تجعل اللبنانيين أكثر حساسية تجاه هذه القضية: "ليس الفلسطيني أهم من مئات الألوف الذين قتلهم قبائل أخرى في أفريقيا، لكنّ الفلسطيني عند بابي، وتلعب أوتار قيثارتي أسماء مثل القدس والناصره وبيت لحم. يبدأ الانسان بطربه، وبعد ذلك يفلسف طربه"<sup>36</sup>.

ب- القضية الفلسطينية جرح في قلب العالم العربي، جرح يمتحنه. انتماء المسيحيين إلى سياقهم يجعلهم معنيين بشكل مباشر بمصير هذه الأرض: "لماذا باتت قضية فلسطين أساس كل بحث عربي وطموح عربي؟ ليس هنا

<sup>34</sup> جورج خضر، "في المسيحية والسياسة"، جريدة النهار، 21 آب 1999.

<sup>35</sup> راجع جورج خضر، "فلسطين وجوارها"، جريدة النهار، 15 كانون الثاني 2005.

<sup>36</sup> جورج خضر، "الإنسان الطالع من فلسطين"، جريدة النهار، 20 نيسان 2002.

لأنّ القدس وما حولها هي جرحنا فحسب، ولكن كون الحلّ الكريم العادل هو امتحان لصدق العرب"<sup>37</sup>.

ت- يرفض خضر فكرة الدولة الاسرائيليّة، "فإسرائيل حبل بها بالإثم وولدت بالخطيئة"<sup>38</sup>. ويعارض بشكل مطلق "الفلسفة الصهيونيّة"، باسم مبادئه، مبادئ العروبة. فالإسرائيليّ لا يريد مواطنة متساوية مع العربيّ، لأنّه مصاب بعقدة تفوّق، "وحرّبتنا مع الصهيونيّة هي حرب على عقدة التفوّق للاستيطان والتوسّع"<sup>39</sup>. وطالما هذا الأمر على ما هو عليه، سيعيش دائماً الإسرائيليّ بحالة محنة، ولن تنتهي هذه المحنة إلاّ مع انتهاء التمييز العنصريّ الذي يمارسه الإسرائيليّ بحقّ العرب. إنّ العروبة هي نقيضة الصهيونيّة لأنّها تنادي بالتعدديّة الثقافيّة والعرقية والدينيّة. وعليه، يتكلم جورج خضر عن أهميّة نموذج التعايش الدينيّ اللبنانيّ. فلبنان صورة الحياة العربيّة الموحّدة. ويجب إعطاء هذا المثال للإسرائيليين، ورفض تطبيع العلاقات معهم إن لم يقبلوا بعيش مشترك مشابه بين الأديان.

وأخيراً، يعي خضر صعوبة الطلب من المسيحيين اللبنانيين الالتزام بالمشروط بالقضية الفلسطينية، بسبب تصرّفات بعض الفلسطينيين أثناء الحرب اللبنانيّة. وهو يعتبر نفسه معنيّاً بالجروح التي أحدثها بعض الفلسطينيون في لبنان، ولكنه يذكر بأنّ الرسالة الإنجيليّة تدعو إلى المسامحة، ويضيف أنّ هذه الأخطاء التي حصلت في لبنان، لا يجب أن تفصل المسيحيين اللبنانيين عن القضية الفلسطينية. فمن "انتمى الى يسوع الناصريّ إنّما يغفر سبع مرّات سبعين مرّة، ولا يحاسب الأجيال الطالعة بما ارتكب الآباء. إنّ أطفال الحجارة لا علاقة لهم بما جرى عندنا. إنّهم نضارة الوجود. وإذا كان لبنان ندى، فنحن إلى كلّ ندى. هؤلاء الشبان الصغار طالعون من الفجر ومنشئو الحياة الجديدة، ليس فقط عندهم، ولكن في قلوب البشريّة الناهضة الى الحقّ"<sup>40</sup>. وعليه، تبقى القضية الفلسطينية في قلب نضال الانسان العربيّ، والعروبة، قضية حقّ، وإنسان، وروح، ومواطنة، ووجود وحرّيّة.

37 جورج خضر، "العرب"، جريدة النهار، 30 آذار 2002.

38 المرجع نفسه.

39 جورج خضر، "الإنسان الطالع من فلسطين"، جريدة النهار، 20 نيسان 2002.

40 المرجع نفسه.

## خلاصة

إنّ للاهوت المطران جورج خضر ميزة الوضوح والواقعيّة. فهو لا يلتفت حول معضلات سياقه العربيّ، حتّى ولو كانت مستعصية، وهو لا يتهاون أو يتنازل عمّا يعتبره أساسياً لإيمانه. فلذلك قال بصراحة للمسلمين إنّهم لن يفهموا المسيح من دون الصليب، وقال للكاثوليك إنّ إعادة الشراكة غير ممكنة طالما أنّهم يعتبرون المجمع الفاتيكانيّ الأوّل مجمّعاً مسكونياً، وقال للإسرائيليين إنّهم سيقبّون مردولين طالما أنّ الشعب الفلسطينيّ مظلوم. وحتّى لو كانت هذه الصراحة صارمة في بعض الأحيان، فالانفتاح الذي يواكبها هو أكثر من إيجابيّ، هو ناتج عن إرادة إيجاد حلول حقيقيّة لإشكاليّات مُصاغة بشكل صحيح. أمّا واقعيّة هذا اللاهوت، فهي تتجلّى في ابتعاده عن كلّ ما هو مجرد عاطفيّ أو غير عمليّ. فقبل التفكير بترميم البطريركيّة الأنطاكيّة، أو بالوحدة المسيحيّة، أو ببناء الدولة الفلسطينيّة، أو بتطبيق العلمانيّة في لبنان، يعالج خضر الإشكاليّات السياقيّة كما هي في أنيّتها، وهو يؤثر عدم الغوص في اعتبارات غير واقعيّة، أو على الأقلّ غير ممكنة في حين تناولها.

لا شكّ أنّ جورج خضر هو مدرسة لاهوتيّة عربيّة تضع في متناول اللاهوتيين المحليّين أسساً محوريّة عليهم أخذها بعين الاعتبار لدى قيامهم بأيّ عمل لاهوتيّ أني. ولا ريب أنّ تفكّرات جورج خضر أرسّت مبادئ لا يمكن بناء لاهوت سياقيّ عربيّ من دون الانطلاق منها، أبتبنيها كما هي، أو بنقدها، أو بتطورها.